

أما المطلوب الأول: فقد خصصته للحديث عن ضرورة الابتعاد عن الفوضى والعشوائية واعتماد مبدأ التخطيط , بينما جاء الكلام في المبحث الثاني: للحديث عن ضرورة عدم التفرد باتخاذ القرارات واعتماد مبدأ الشورى. وأما المبحث الثالث: فقد تكلمت فيه على أهمية الشعور العالي بالمسؤولية وأثره في تحقيق عملية الإصلاح. بينما جاء الكلام في المبحث الرابع والأخير: للحديث عن الفرقة والتخاصم وأثرهما الكبير في وجود الفساد وعدم التمكن من القيام بعملية الإصلاح وتحقيقها مع وجوب ضرورة التعاون على البر والتقوى من أجل تحقيق الإصلاح المنشود ، ثم الخاتمة التي تضمنتها أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث والدراسة مع أهم التوصيات التي جاءت بها هذه الدراسة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث

تمهيد:

قبل أن أتكلّم على الوسائل التي تمكّن المسلم من الوصول الى تحقيق الإصلاح , أرى ضرورة أن أبين معنى الوسائل ومعنى الإصلاح وأهميته .

١- معنى الوسائل.

الوسائل جمع وسيلة، والوسيلة ما يتقرب به إلى الشيء، والوسيلة القربى^(١)، قال الله تعالى: ﴿ فَظَلَّ بَيْنَ الصَّاقَاتِ مِنَ الْإِهْتِمَاءِ فَذُكِرْتُمْ فَتَضَلَّ الشُّرُوكُ الْخَرُوفُ الذُّجَانُ الْجَانِيَّةُ الْإِحْقَافُ الْمُجَنَّبَةُ ﴾ المائدة/٣٥، والوسيلة ما يتوصل به إلى تحصيل المطلوب وتحقيق المقصود^(٢).

ووسائل تحقيق الإصلاح: هي كل ما يخدم عملية الإصلاح، ويُساعد على تحقيقها ويوصل إليها، وهي الطرق التي توصل المسلم وتمكّنه من تحقيق عملية الإصلاح، والقضاء على كل أشكال الفساد والوانه، ولكل الأعمال التي ينبغي أن يقوم بها الإنسان.

والإسلام يؤكد على ضرورة الأخذ بالوسائل، ومباشرة الأسباب في كل الأمور والأحوال، ولا بدّ أن تدرك الأمة الإسلامية أنّ اتخاذ الوسائل واعتمادها لتحقيق الجودة والانتقان أمرٌ حتمي لا مفرّ منه .

وحديث القرآن الكريم عن وسائل تحقيق الإصلاح ليس حديثاً مُرسلاً، أو كلاماً مطلقاً مبهماً، بل إنّ القرآن الكريم حرص على توجيه الأمة الإسلامية إلى ضرورة الأخذ بكل وسيلةٍ من وسائل تحقيق الإصلاح حتى يتحقق الهدف المنشود، وهذا جانبٌ بارزٌ من جوانب عظمة المنهج القرآني، فالقرآن الكريم يوضّح الغاية ويقدم الوسيلة، يُشخّص الداء ويُرشد إلى الدواء. يُحذّر من الفوضى والإهمال والتكاسل

(١) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (٧١١) هـ، دار الحديث، القاهرة، (د. ط) ٢٠٠٣ م: ٧٢٤/١١، مادة (وسل).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي، ت(٧٧٤) هـ، تحقيق سامي محمد طعمة، دار طيبة، (ط٢)، ١٤٢٠ هـ. ١٩٩٩ م: ١٠٣/٣.

والفساد، ويُدل على أسباب الوقاية من ذلك، ويحث على ضرورة اعتماده ويقدم الوسائل الموصلة إلى تحقيق ذلك.

ووسائل تحقيق الإصلاح في القرآن الكريم واضحة لا غموض فيها ، وميسورة لا مشقة في الوصول إليها. بل هي في متناول كل يدٍ ، وهي كثيرةٌ، ولكن من خلال استقرائي للنصوص القرآنية وجدت أنّ في جملتها ترجع إلى أربعة وسائل أساسية ، وهي:-

أ. الابتعاد عن الفوضى والعشوائية واعتماد مبدأ التخطيط.

ب . عدم التفرد باتخاذ القرارات واعتماد مبدأ الشورى.

ج . الشعور العالي بالمسؤولية .

د . نبذ الفرقة والتخاصم والتعاون على البر والتقوى .

ولذلك سأتناول كلّ وسيلةٍ من هذه الوسائل في مطلبٍ مستقلٍ من أجل دراستها دراسةً مستفيضةً، مع بيان أهميّتها وأثرها في تحقيق الإصلاح.

٢. معنى الإصلاح وبيان أهميته.

الصلاح والإصلاح والمصلحة والتصالح أو المصالحة مشتقةٌ من جذر لغوي واحدٍ : (صَلَحَ) وجميعها تعني إزالة الفساد والقضاء عليه ، والعودة إلى ضده وهو الصلاح ، وجميعها تختص في أكثر الاستعمال بالأفعال . فالإصلاح نقيض الفساد

, والمصلحة ضد المفسدة , والتصالح هو إصلاح ذات البين , ومن ثم فإنّ جميع هذه الألفاظ تعطي دلالة واحدة , وهي إزالة الفساد والقضاء عليه^(١).
والإصلاح عندما يُطلق في الاصطلاح الشرعي فإنّما يُراد به: (التغيير إلى استقامة الحال على ما تبدو عليه الحكمة)^(٢).

(وقيل الإصلاح هو إزالة الخطأ)^(٣).

أهميّة الإصلاح.

للإصلاح أهميّة كبيرة في إزالة الفساد والقضاء عليه , من أجل تحقيق أعلى مستويات الصلاح والاستقامة للفرد والمجتمع على حدٍ سواء , ولمختلف نواحي الحياة وجميع مجالاتها , وقد وردت لفظة (صَلَحَ) وما اشتق منها في القرآن الكريم (١٨٠) مرة^(٤) , تُعبّر عن جميع معانيها اللغوية السابقة وما تدل عليه , وقد جاءت في معظم مواضعها مرتبطةً بالعمل , لتشير إلى ضرورة إصلاح العمل وإتقانه , لأنّه أساس مادة النجاح في مضمار الحياة الدنيا والدار الآخرة , فالإصلاح هو أساس تحقيق

(١) ينظر: العين ، لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي ، ت(١٧٥) هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان ، (ط٢) ، ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م : ٣٩٨/١ ، ومقاييس اللغة ، تأليف أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي ت(٣٩٥) هـ ، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، (ط٢) ، ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨ م : ٣٠٧/٣ ، ولسان العرب : ٥١٦ / ٢ ، مادة (صلح) .

(٢) الموسوعة الفقهية : ٦٢/٥ .

(٣) معجم لغة الفقهاء ، وضعه: د. محمد رواسي قلعة جي ود. حامد صادق قتيبي ، طبعة دار البشائر ، بيروت ، (ط١) ، ١٤٠٥ هـ . ١٩٨٥ م : ٧١ .

(٤) ينظر: المعجم المفهرس للقرآن الكريم ، محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، (ط١) ، ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠١ م : ٥٠٤ . ٥٠٧ .

السعادة للبشرية، وهو أساس الشرائع كلها بعد توحيد الله سبحانه وتعالى، وتنزيهه عن الشرك .

والإصلاح يشمل كل مجالات الحياة، وكل أشكال وروابط العمل، عمل الإنسان في نفسه وأهله، وعمل الإنسان في مؤسسته ومجتمعه والمحيطين به والبشرية بأجمعها، حتى يكون المجتمع على اتساعه فاعلاً عاملاً مُنتجاً، ويتكامل الجميع لتحقيق مقام العبودية لله تعالى والاستخلاف في أرضه، وفي ذلك يقول الخالق سبحانه وتعالى حكايةً عن قول شعيب (الْحَمْدُ لِلَّهِ) لقوم مدين : ... الْحَقُّ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ نُوْحٍ لِلْحَقِّ الْمُبْرَمِ الْمُبْرَمِ الْقِيَامَةِ ... چ هود / ٨٨، أي الإصلاح العام للحياة والمجتمع الذي يعود صلاحه بالخير على كل فرد فيه وعلى كل جماعة^(١).

المطلب الأول

الابتعاد عن الفوضى والعشوائية واعتماد مبدأ التخطيط

إنّ الإصلاح لن يتحقق بالشعارات ولا بالأمانى أو النداءات، وإنّما يتحقق في ظل الابتعاد عن الفوضى والعشوائية واعتماد مبدأ التخطيط قبل أداء الأعمال، ولذلك يعرف التخطيط بأنه: (هو التفكير العميق المتّزن والدراسة المستفيضة، والعملية المنظمة، لاختيار أحسن الحلول والوسائل للوصول إلى أهدافٍ معينة)^(٢).

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، طبعة دار الشروق، القاهرة، (ط٣٤)، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤م: ١٩٢١/٤.

(٢) الدعاة والتخطيط، محمد عبدالله الخطيب، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، (د. ط)، ١٩٨٩م: ٢٢.

والتخطيط له أهمية كبيرة في عملية الإصلاح، فالتخطيط أمرٌ ضروريٌ لكل شؤون الحياة، وذلك لأنّ الإسلام دين العلم والحركة الهادفة المحسوبة التي ترفض الارتجال والعشوائية في إدارة الأمور، أو ترك الأمور تجري على أعنتها بغير حدود تحدّها، أو ضوابط تحكمها، وهو كذلك دين المستقبل، فالنظرة المستقبلية شيءٌ أساس في أصل الدين، كما أنّ الدين الإسلامي هو دين الأخذ بالأسباب والتخطيط والتدبير المُتقن. واحتفاءً بالتخطيط ودوره في حماية البلاد والعباد، فقد ذكر لنا القرآن الكريم كيف أقام الله تعالى هذا الكون الواسع، بناءً على الدقة والنظام والتناسق بين الأجرام الهائلة في حركتها الدائبة، فكلٌّ في مداره وفلكه، بلا مسابقةٍ ولا تراحمٍ، ولا بديل عن التخطيط إلا الفوضى والارتجال، قال الله تعالى: **جَنُوجَ الْجَنَّةِ الْبُنْيَانِ الْبُنْيَانِ الْبُنْيَانِ الْبُنْيَانِ الْبُنْيَانِ** (١)

يس/٤٠. (فليس من المعقول أن يخضع الكون كلّهُ إلى قوانين تتحكم في سيره من الذرة إلى المجرة... ثم يفلت المجتمع الإنساني من نظام الوجود، فيتّسم بالفوضى... ولا يخضع لضوابط تضبط حركته، ولا لتخطيط يُعدّلُ اعوجاجاً يحدث فيه) (٢).

(وهذا يُعطينا مؤشراً لإقامة حياتنا في إطار التخطيط، لأنّ الإنسان جزءٌ من حركة الكون، وهو مطالبٌ بعمارة الأرض ونشر العدل، ولا بدّ لذلك من تخطيطٍ، إذ هو أساس العمل الناجح) (٣). وتظهر أهمية التخطيط بما قصّ علينا القرآن الكريم من تخطيط يوسف (عليه السلام) لإخراج مصر من مخاطر السنين السبع العجاف التي

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٤١.

(٢) الإسلام والتنمية الاجتماعية، للدكتور محسن عبد الحميد، دار المنار، السعودية، (د. ط)، ١٩٨٩ م: ٩.

(٣) أثر التخطيط في بناء المجتمع المدني، محمد صالح جواد السامرائي، دار ابن حزم، بيروت، (ط)، ١٤٢٣ هـ.

يتحركوا، وأنهم سيحاسبون إذا فرطوا وقصروا^(١). فالعمل روح الإسلام، والإسلام (دين التخطيط والنظام، تخطيط مستمر يسبق الزمن ويتعداه، ونظام دقيق ومتكامل في مجالات الحياة كلها)^(٢).

المطلب الثاني

عدم التفرد باتخاذ القرارات واعتماد مبدأ الشورى .

إنّ التفرد باتخاذ القرارات أحد عوامل الفساد ولذلك نهى الإسلام عن ذلك، وأمر المسلمين بالتشاور والمشاورة، قال الله تعالى ﴿الْكَهْفُ مَرْيَمَ طه الشورى/ ٣٨﴾. لأنّ الشورى قاعدة من قواعد الإسلام، وأساساً من أسس الإصلاح، وسمّة من سمات المجتمع الإسلامي، ودعامة هامة من دعائم تحقيق الإصلاح في سائر أمور الحياة، فالشورى مبدأ يتخلل الحياة الإسلامية في مستوياتها ومجالاتها المختلفة، بدءاً من الأمور الجزئية في العلاقات بين الوالدين، وحتى بعد الانفصال أوجب الله عليهما التشاور في شأن فطام الطفل الرضيع، قال الله تعالى: ﴿... الْحَقُّ الْمُبِينُ نوح للحين المبرمك المبرم القيامت الاستك المبرمات النبأ...﴾. (ويؤخذ منه أنّ انفراد أحد الوالدين دون الآخر بقرار فطام الطفل قبل الحولين لا يكفي ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد بذلك من غير مشاورة الآخر)^(٣).

(وإذا كان القرآن يُرشدنا إلى المشاورة في أدنى أعمال تربية الولد، ولا يبيح لأحد والديه الاستبداد بذلك دون الآخر، فهل يُبيح لرجلٍ واحدٍ أن يستبدّ في الأمة

(١) الإسلام والتنمية الاجتماعية : ٨ .

(٢) نحو كلمة سواء وحوار كريم، عبدالله نجيب سالم، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (ط١)، ٢٨٢م : ٢٨٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ١ / ٦٣٥ .

كلها، وأمر تربيتها وإقامة العدل فيها أعسر ورحمة الأمراء أو الملوك دون رحمة الوالدين بالولد أنقص؟! (١). وهذا يعني أنه لا يُباح لشخص مهما كان موقعه في المجتمع الإسلامي أن يستبد برأيه في الجماعة صغرت أو كبرت في حجمها، عظم أو هان الأمر الذي تسعى للبت فيه. وتتجلى أهمية الشورى في الإسلام في تسمية إحدى سور القرآن الكريم بها ((سورة الشورى)) وقد سُميت بذلك لأنها السورة الوحيدة التي قررت الشورى عنصراً من عناصر الشخصية الحقّة (٢). وصفة من صفات المؤمنين الاثنتي عشرة التي وردت بالسورة (٣).

ومما يدل على أهميتها ووجوبها : وقوعها بين فريضتين واجبتا التنفيذ لا يكمل إسلام الفرد إلا بهما وهما: الصلاة والزكاة ، قال الله تعالى: ﴿ الرَّعَّةُ الْبَرَاءَةُ الْحَجَرُ الْجَلَاءُ الْإِسْرَاءُ الْكَلْبَاءُ مَرْيَسَةُ ظَنَاءِ الْأَنْبِيَاءِ لِلْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ الشورى/٣٨. (والتعبير يجعل أمرهم كلاً شوري، ليصبغ الحياة كلها بهذه الصبغة، ومع أنّ هذه الآيات مكية ، نزلت قبل قيام الدولة الإسلامية في المدينة، إلا أنّ من صفة الجماعة المسلمة الشورى، مما يوحي بأنّ وضع الشورى أعمق في حياة المسلمين من مجرد أن تكون نظاماً سياسياً للدولة، فهو طابع أساسي للجماعة كلها) (٤).

وبعد قيام الدولة الإسلامية بالمدينة وفي أصعب ظروفها بعد ما ابتلي المسلمون وزلزلوا زلزالاً شديداً في معركة أحد، وبعد ما نزل النبي محمد (ﷺ) عند رأي

(١) تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، للإمام محمد رشيد رضا، دار الفكر، بيروت، (ط٢)، (د.ت): ٢ / ٤١٤ .

(٢) ينظر : الشورى في القرآن الكريم، صلاح عبد الفتاح الخالدي، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، الأردن، (د. ط)، ١٩٨٩ م.: ٥٦ .

(٣) ينظر: في ظلال القرآن : ٥ / ٣١٦٤ .

(٤) ينظر: في ظلال القرآن: ٥/٣١٦٤.

جماعة من المسلمين بالخروج إلى أحد، وكان يريد النبي محمد (ﷺ) البقاء لملاقاة المشركين بالمدينة، وما كان لذلك من أثر فيما أصاب المسلمين جاء الأمر من الله تعالى لنبيه محمد (ﷺ) أن يبقى على درب الشورى مع أصحابه (ﷺ)^(١). قال الله تعالى:

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ

مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ آل عمران/١٥٩. فقد أمر الله تعالى نبيه سيدنا محمداً (ﷺ) بالمشورة مع تكفلٍ من إرشاده ووعده به من تأييده ليكون ذلك تنبيهاً لأمر الشورى وعلو منزلتها في الإسلام، إذ إنَّ الله سبحانه وتعالى أمر نبيه سيدنا محمداً (ﷺ) بمشاورة أصحابه ليستنَّ به المسلمون ويتبعه فيها المؤمنون، وإن كان سيدنا النبي محمد (ﷺ) عن مشورتهم غنياً^(٢). وبهذا النص الجازم ﴿...الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ...﴾ آل عمران/ ١٥٩. يُقرر الإسلام هذا المبدأ في نظام الحكم، حتى وإن كان سيدنا النبي محمد (ﷺ) رسولاً من الله وهو الذي يتولى الحكم، وهذا نص قاطع لا يدع للأمة المسلمة شكاً في أنَّ الشورى مبدأ أساس لا يقوم نظام الإسلام على أساس سواه^(٣).

ولذلك كان رسول الله سيدنا محمد (ﷺ) ينصح أصحابه وأُمَّته من بعده بتحرّي الأمانة والصدق فيما يُشيروا به، وأن يُشير الواحد منهم على أخيه بما هو صانع

(١) ينظر: السيرة النبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعامري، ت(٧٤٣ هـ)، دار ابن الجوزي، القاهرة، (ط١)، (د.ت): ٤٥١.

(٢) ينظر: النكت والعيون، أو تفسير الماوردي، تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، ت(٤٥٠ هـ)، مراجعة السيد عبد المقصود عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (ط٢)، ١٤٢٨ هـ. ٢٠٠٧م: ١ / ٤٣٣.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: ١ / ٥٠١.

لنفسه لأنّ الشورى أمانة، وفي ذلك يقول سيّدنا النبي محمد (ﷺ): [المستشار مؤتمن]^(١).

والشورى وإن كانت من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام^(٢). إلا أنّها ليست مطلقة، بحيث تمتد إلى كل أمرٍ من أمور الدين، وإنّما تجب فيما لم يقطع فيه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الحُكْم، وأمّا ما قطع فيه القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهّرة بحكمٍ أو رأيٍ فهو خارج عن نطاق الشورى، ولذلك جاء في تفسير قول الله تعالى ﴿الْكَهْفُ مَرْيَمَ ذُنُوبًا﴾ الشورى / ٣٨. والمراد من الأمور التي تقع فيها المشورة هو: (أمر الأمة الدنيوي الذي يقوم به الحُكّام عادة، لا أمر الدين المحض الذي مداره على الوحي دون الرأي، إذ لو كانت المسائل الدينية كالعقائد والعبادات والحلال والحرام مما يُقرر بالمشاورة لكان الدين من وضع البشر)^(٣).

وقد أدرك الصحابة (رضي الله عنهم) حقيقة ذلك، فلم يكونوا يُشيرون على سيّدنا الرسول محمد (ﷺ) في أمرٍ من الأمور المحسومة في القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة، فإنّ أشكل عليهم الأمر، سألوا سيّدنا النبي محمداً (ﷺ) أولاً عن أصل ما يدعوهم إليه،

(١) مسند الإمام أحمد، للإمام أحمد بن حنبل أبي عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، (د.ط): ٥ / ٢٧٤ ، حديث رقم (٢٢٤١٤)، وسنن ابن ماجه، للإمام محمد بن يزيد أبي عبدالله القزويني، تحقيق محمد عبد الباقي، دار الفكر ، بيروت، (د.ط): ٤ / ٣ ، حديث رقم (٣٧٤٥). وسنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت ، (د.ط): ٤ / ٤٩٥ ، حديث رقم (٥١٣٠) ، وسنن الترمذي، للإمام محمد بن عيسى الترمذي السلمي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ط): ٥ / ١٢٥ ، حديث رقم (٢٨٢٢)، وقال عنه حديث حسن صحيح .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن ابن تمام بن عطية الأندلسي، ت(٥٤٦) هـ، دار ابن حزم ، بيروت . لبنان، (ط١)، ١٤٢٣ هـ. ٢٠٠٢م: ٣٧٦ .

(٣) تفسير المنار : ٤ / ١٩٩ . ٢٠٠٠ .

أوحى هو أم رأي؟ فإن علموا أنه وحي استسلموا وأذعنوا كما أمر الله تعالى، وإن علموا أنه اجتهاد دون رأي ناقشوا وأشاروا واشتركوا معه في الرأي والنظر^(١).

ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما قاله الحباب بن المنذر^(٢) (رضي الله عنه) لرسول الله (ﷺ) يوم بدر، حينما أدرك عدم نجاة^(٣) المكان الذي نزلوا فيه لملاقاة المشركين، قال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمزلاً أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟!، أم هو الرأي والحرب والمكيدة^(٤)، فقال له سيدنا النبي محمد (ﷺ): بل هو الرأي والحرب والمكيدة، عندها أشار الحباب (رضي الله عنه) على النبي محمد (ﷺ) برأيه^(٥).

وهكذا تتجلى وبكل وضوح أهمية الشورى وارتباطها بالدنيا وسياسة الناس، وأنها الطريق الموصل إلى النجاح في تحقيق الإصلاح، وإن الشورى معلّم من معالم الجماعة المسلمة سواء كانوا في جماعة صغيرة كالأسرة مثلاً أو في تجمعات كبيرة تصل إلى حد الدولة، وعلى ذلك فإنّ نظام الشورى هو نظامٌ يتوقف عليه مدار الإصلاح بما يُحقّقه من تعاونٍ مشتركٍ في تبادل الآراء والأفكار، والذي يسعى إلى إرضاء الجميع وتحقيق الإصلاح المنشود لجميع جوانب الحياة، وإنّ نظام الشورى

(١) ينظر: خصائص الشورى ومقوماته، محمد سعيد رمضان البوطي، الأردن، (د.ط)، ١٩٨٩م: ٢ / ٤٩٨ . ٥٠٢ .
(٢) هو الحباب بن المنذر ابن الجموح بن حرام يُكنى بأبي عمرو ، صحابي جليل ، شهد بدرًا ، وهو الذي أشار على النبي محمد (ﷺ) بالنزول عند ماء بدرٍ ففعل ذلك النبي محمد (ﷺ) وانتصر المسلمون يومها وكذلك شهد أحداً والخندق ، توفي في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، ينظر : الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، ت (٢٣٠ هـ) ، تحقيق د. علي محمد عمر ، القاهرة، (ط١)، ١٤٢١ هـ . ٢٠٠١م: ٣/٥٦٨ .
(٣) نجع بمعنى صلح ونقح ، وعدم نجاة المكان ، بمعنى عدم صلاحه أو الانتفاع منه عند ملاقاته المشركين ، ينظر: لسان العرب: ٣٤٧/٨، مادة (نجع).
(٤) المكيدة في اللغة : هي مأخوذة من المكُر ، والكيدُ ، والاحتيالُ، والاجتهاد ، ولذلك سُميت الحربُ كيداً لأنها مكُرٌ واحتيالٌ على الأعداء، من أجل الظفر بالنصر وكسب ساحة المعركة ، ينظر: لسان العرب: ٣٨٣/٣، مادة (كيد).
(٥) ينظر: السيرة النبوية ، لابن هشام : ٣٣٠ .

نظام أمر القرآن الكريم بترسيخه، وجعله الله سبحانه وتعالى من أبرز صفات المؤمنين، وأوجبه الله تعالى على القيادة ولو كان القائد نبياً مسانداً بوحى السماء، وبهذا تصبح الشورى منهجاً للجميع، ومنهاجاً يتوقف عليه مدار الإصلاح، وإزالة الفساد والقضاء عليه، ولجميع نواحي الحياة، وإن الواجب اليوم يحتم على قادة المسلمين وأصحاب القرار في كل مفاصل الدولة أن لا يستبدوا برأيهم، وأن يستشيروا أهل الرأي وأصحاب الخبرة في اتخاذ القرارات وعدم التفرد بالرأي، امتثالاً لأمر الله تعالى، وعملاً بسنة نبيه محمد (ﷺ)، من أجل الوصول إلى أحسن الحلول للمشاكل التي تواجه أبناء المجتمع، ومن أجل النجاح في سياسة الناس وتدبير أمورهم بعيداً عن التفرد في اتخاذ القرارات، والتخبط والفوضى والعشوائية التي يعاني منها اليوم أبناء المجتمع، والتي تتمثل في عدم حُسن سياسة الناس وفي التخبط والعشوائية في إدارة مفاصل الدولة ودوائرها الأمر الذي أدى بدوره إلى انتشار الفساد بكل صورته وأشكاله .

المطلب الثالث

الشعور العالي بالمسؤولية

إن من أسس قيام عملية الإصلاح ونجاحها والامتثال لجميع أوامر الله تعالى والانقياد لها على أكمل وجه وأتمه هو الشعور العالي بمبدأ المسؤولية وتطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والمعروف في اللغة: هو أسمٌ لما تبدّله وتُسدّيه، وهو كل شيءٍ ضد المنكر، وهو الجود، وهو أسم لكل ما يُستحسن من الأفعال، وما تعرفه النفس من الخير فتطمئن إليه^(١).

وأما المنكر : (فهو كل فعل خلاف المعروف وضده ، وهو كل ما قبّحه الشرع وحرّمه)^(٢).

وأما المعروف في الإصطلاح الشرعي فهو (أسم لكل فعل يُعرف بالعقل أو الشرع حُسنة)^(٣). وهو أسم جامع لكل ما عُرف حُسنه، من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة)^(٤).

وأما المنكر: (فهو كلُّ فعل تحكّم العقول الصحيحة بقبّحه ، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول فتحكّم بقبّحه الشريعة)^(٥).

أهميّة استشعار مبدأ المسؤولية .

يُعدّ الشعور العالي بمبدأ المسؤولية من أهم عوامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن أحد أسس نجاح عملية الإصلاح والقضاء على كل أشكال الفساد وألوانه . فالشعور بمبدأ المسؤولية هو من أهم المبادئ الإسلامية لمعالجة الفساد، (بل هو القطب الأعظم في الدين، وهو الشاغل المهم الذي ابتعث الله تعالى به

(١) ينظر: لسان العرب : ٩ / ٣٣٦ ، مادة (عرف).

(٢) المصدر نفسه : ٥ / ٢٣٢ ، مادة (نكر) .

(٣) المفردات: ٣٣٤ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت(١٣٧٦هـ). تحقيق: مجدي

فتحي السيد وآخرين، المكتبة التوفيقية، مصر، القاهرة، (د. ط) : ٣٥٣ .

(٥) المفردات: ٥٠٧ .

النبيين أجمعين^(١). وهو الصفة التي نُعتت بها أمة النبي محمد (ﷺ) وجعلتها خير أمة ما قامت بهذه الفريضة وتواصت بها، قال الله تعالى: **﴿ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾** قَالَ تَعَالَى: ﴿...﴾ **﴿ آ ل عمران/١١٠. قال الرازي (رحمه الله): (إنَّ الألف واللام في لفظ المعروف ولفظ المنكر يُفِيدان الاستغراق، وهذا يقضي كونهم أمرين بكل معروف، وناهين عن كل منكر)﴾**^(٢).

وفي هذا مدحٌ لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتَّصفوا به، فإذا تركوا التغيير وتواطئوا على المنكر زال عنهم أسم المدح، ولحقهم أسم الذم، وكان ذلك سبباً لهلاكهم^(٣).

ومما يُدلل على أهميّة هذه الفريضة هو ما وصف به الله تعالى عباده المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، قال الله تعالى: **﴿ الْمُنَادِيَةُ الْأَعْرَابُ الْأَعْرَابُ الْأَنْبِيَاءُ الْتَوْبَةُ الْيَوْمَ يُؤْتِيكَ الرَّحْمَ إِبْرَاهِيمَ الْحَجْرُ الْجَنَّةُ الْإِسْرَاءُ الْكَهْفُ مَرْيَمُ طَبَّةُ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجَّ الْمُؤْتُونَ الْبُورُ الْفُرْقَانُ الشَّعْرَةُ الْبَسْمُ الْقَضْرُ الْجَبْرُ الْيَوْمُ لُقْمَانَ ﴾** التوبة/٧١. إذ إن طبيعة المؤمن هي طبيعة الأمة المؤمنة، طبيعة الوحدة والتكافل والتضامن في تحقيق الخير ودفع الشر، وإنّ هذا كلّ عمل

(١) أحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، ت(٥٠٥) هـ، وبذيله كتاب المغني عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج ما في الأحياء من الأسفار، للعلامة زين الدين أبي الفضل عبدالرحيم بن حسين العراقي، ت(٨٠٦) هـ، دار المعرفة، بيروت. لبنان، (١ط)، ١٤٢٥ هـ. ٢٠٠٤ م: ١ / ٧٥٢ .

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لأبي عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الشافعي، ت(٦٠٦) هـ، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، (١ط)، ١٤٢١ هـ. ٢٠٠٠ م: ٨ / ١٥٦ .

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ١٧٣ .

عن المنكر. وهذا إنما يريد به بعد أن يمتثل ذلك هو في نفسه وينزجر عن المنكر، وهنا تكون الطاعات والفضائل أجمع^(١).

وفي ضوء هذه المكانة التي يحتلها مبدأ الشعور بالمسؤولية، كان القيام به واجباً على كل شخص قادرٍ عليه، قال الله تعالى: **﴿يُؤْتِيكَ هُوًّا يُؤْتِيكَ الرَّحْمَٰنُ إِبْرَاهِيمَ ۖ الْحَجَرِ النَّخَعِ ۖ الْإِسْرَاءِ الْكَاهِنِ ۖ فَرِحْنَا بِكِبَرِهِ ۖ فَنَبَّأْنَا الْآبِيَاءَ بِالْحَقِّ الْمُؤْمِنُونَ ۖ السَّوْدَةَ ۖ آلَ عِمْرَانَ ۖ﴾** ١٠٤. أي فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كان واجباً على كل فرد من هذه الأمة بحسبه^(٢). أي بحسب قدرته على القيام به وبظنه أنه لا يلحقه أذى في نفسه ولا في أهله، أو يترتب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ترك معروف أعظم أو جلب مفسدةٍ أعظم، وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة، وأصلٌ عظيمٌ من أصولها، وبه يكمل نظامها ويتم صلاحها^(٣).

ولذلك قال رسول الله محمد (ﷺ) محددًا أساليب تغيير المنكر في حدود الاستطاعة: [من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان]^(٤).

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١٤ / ٦٧ .

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم : ٢ / ٩١ .

(٣) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت (١٢٥٠) هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط١) ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م : ١ / ٣٠١ .

(٤) صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت (٢٦١ هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (ط١) ، ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠ م، (طبعة بمجلد واحد): ٨١، كتاب الايمان ، باب كون النهي عن المنكر من الايمان، حديث رقم (٧٨).

والحديث واضح الدلالة على أنّ تغيير المنكر من حق كلّ من رآه من المسلمين، بل أنّه من واجبه، وذلك بحسب قدرة كل مؤمن، فالمؤمن عليه أن يقاوم المنكر ويعمل على تغييره باليد إن استطاع، وإلا فباللسان والبيان، فإن عجز عن التغيير باللسان، انتقل إلى آخر المراحل وأدناها وهي التغيير بالقلب وإنّما سماه الرسول (ﷺ) تغييراً بالقلب، لأنّه تعبئة نفسية وشعورية ضد المنكر وأهله وحّماته^(١). وهذه التعبئة ليست أمراً سلبياً محضاً كما يُتوهم ، ولو كانت ما سماها النبي محمد (ﷺ) تغييراً^(٢) . ولقد أجمع جمهور علماء المسلمين على أنّ القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو فرض كفاية لا فرض عين ، فإذا قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين وأختصّ الفلاحُ بالقائمين به المباشرين له، وأمّا إن تقاعست عنه الأمة بأجمعها عمّ الحرج على كافة القادرين عليه لا محالة^(٣).

إذ إنّ الشعور بمبدأ المسؤولية يجب أن يكون قائماً في العقلية المسلمة على كل الأحوال متى رأت معروفاً متروكاً أو منكراً قائماً، فعليها أن تُغيّر المنكر وتُقرّ المعروف متى ما كانت قادرة على هذا التغيير، ومتى ما كانت على يقين أنّ القيام به سوف يؤدي إلى تحصيل مصلحةٍ أو دفع مفسدةٍ، وهذا يكون باليد واللسان وهو من أهم أسس وعوامل إزالة الفساد والقضاء عليه من أجل تحقيق عملية الإصلاح.

وتأتي أهمية الشعور بالمسؤولية ويتّضح كبير أثرها في إزالة الفساد والقضاء عليه وتحقيق عملية الإصلاح العام للفرد والمجتمع من خلال كونه يقوّي ويُعزز مبدأ

(١) ينظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف بن سري النووي، دار احياء التراث العربي، بيروت . لبنان، (ط٢)، ١٣٩٢هـ: ٢ / ٢٢ .

(٢) ينظر: من فقه الدولة في الإسلام ، للدكتور يوسف القرضاوي، دار الشروق ، القاهرة ، (د.ط.)، ٩٤٠٠ .

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين : ١ / ٧٥٢، وتفسير روح المعاني: ٤ / ٢١ .

الشورى بين المسلمين بعضهم لبعضهم الآخر، وبينهم وبين الحكّام، لأنّ الله تعالى يفرض على المؤمنين أن يكون من بينهم جماعة متّحدون أقوياء ﴿يُؤْتِنَا هُؤُلَاءِ يُؤْتِنَا الرَّعْدَ بِأَرْهَافِهِمْ الْحَجَرَ الَّذِي تَخِفُّ عَلَيْهِ الْأَنْجِيَاءُ لِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾. يتولون الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو عام في الحكّام والمحكومين^(١).

وتأتي أهميّة الشعور العالي بالمسؤولية في تحقيق عملية إصلاح المجتمع من كونه يصنع حالة من الوعي الجماعي بالمثالية الإسلامية التي تؤكد المسؤولية الجماعية التضامنية، ويجعل من الجماعة المسلمة كأنّها جسمٌ مترابطٌ، مما يعزز مبدأ الشعور بالمراقبة والمحاسبة من قبل الأمة بكاملها تجاه أي فرد يقع في المنكر أو يحاول أن يفعله، وبمقتضى هذا المبدأ العظيم تُراقب الأمة أبنائها في كل عملٍ يؤديه، ويُراقب المواطنون بعضهم بعضاً ليس بهدف تصيد الأخطاء، ولكن بهدف التعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق وبالصبر مما يُسهم في تحقيق الإصلاح المطلوب وإزالة الفساد والقضاء عليه، وهذا الواجب يقع على جميع أبناء المجتمع وأولهم الخطباء وكذلك هو الحال مع اساتذة الجامعات والمدرسين والمعلمين بوصفهم قادة المجتمع فعليهم تقع مسؤولية تنبيه أبناء المجتمع على اخطائهم، وتوجيه عامة الناس على الطريق المستقيم من أجل ازالة الفساد وتحقيق الإصلاح المنشود.

المطلب الرابع

نبذ الفرقة والتخاصم والتعاون على البر والتقوى

(١) ينظر: معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت(٥١٦هـ)، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، (ط١)، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. : ٢٣٣.

مما لا شك فيه أنّ الإصلاح لن يتحقق إلا بالتكاتف والتعاون على العمل الصالح، وترك الفساد وإزالته أو القضاء عليه، ولذلك أمر الإسلام أتباعه بنبذ الفرقة والتخاصم، وأمرهم بالتعاون في كل خير، والعمل على دفع كل شر عن أبناء المجتمع، ذلك التعاون الذي يُحقق رضا الله تعالى والإصلاح في المجتمع، إذ إنّ تعاون الأفراد في العمل يُساعد على تحقيق الإصلاح وزيادة الإنتاج ومنع الأخطاء وجودة الأداء وتحسينه .

لذلك كانت الدعوة في القرآن الكريم صريحةً إلى التعاون على البر والتقوى، قال الله تعالى: ﴿... النَّجَّابِينَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَهُمْ لَهْوًا مُّحَرَّمًا نُوحًا لِلرِّجَالِ الْمُرْتَدِّينَ الْمُكْفِرِينَ الْقِيَامَةَ الْأَسْوَأَ الْمُرْسَلَاتِ النَّبِيَّاتِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ﴾ المائدة/٢.

ففي هذه الآية يأمر الله تعالى عباده بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل^(١). والمراد بالعدوان في هذه الآية هو الظلم الذي يمنع تحقيق الإصلاح والقيام به^(٢). وهو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى، أي ليعن بعضهم بعضاً، وتحاثوا على ما أمر الله تعالى واعملوا به وانتهوا عما نهى الله عنه وامتنعوا عنه^(٣).

إنّ التعاون المقصود في الإسلام هو تعاون على طاعة الله وتحقيق مصالح الناس وكسب رضاهم، وفي ذلك يقول الماوردي (رحمه الله): (نذب الله سبحانه إلى

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم : ١٢ / ٢ .

(٢) ينظر : معالم التنزيل : ٣٥٦ .

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن : ٤٦ / ٦ .

التعاون بالبر وقرنه بالتقوى، لأنّ التقوى رضا الله تعالى، وفي البرّ رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته^(١).

ويفسّر الماوردي (رحمه الله) حكمة التعاون التي جعلها الله واجباً على المسلمين، (في أنّ الناس إذا تباينوا واختلفوا [وتلك هي طبائعهم] صاروا مؤتلفين بالمعونة متواصلين بالحاجة لأنّ ذا الحاجة وصوّل والمحتاج إليه موصول)^(٢).

والتعاون: معناه تبادل المعونة، ويكون في الخير بمدّ يد المعونة للآخرين، وكلّ وجود بما عنده لأخيه، فالعالم وجود بعلمه، والشجاع القوي يدافع عن الضعيف، والعامل وجود في عمله تحقيقاً للإصلاح^(٣). (فالضمير والمفاعلة في قول الله تعالى... النَّجَّارِينَ... [المائدة/٢] للمسلمين، أي ليعن بعضكم بعضاً على البر والتقوى، وفائدة التعاون تيسير العمل، وإظهار الاتّحاد والتناصر، وتوفير المصالح، حتى يصبح ذلك خلقاً للأمة)^(٤).

والتعاون أمرٌ ضروريٌّ لتسيير عجلة الحياة، وتحقيق الإصلاح، كي يستفيد الإنسان من كل المواهب لقاء إخلاصه في أداء عمله وتعاونه مع الآخرين، والتعاون أمرٌ ضروري لإقامة شرع الله في أرضه، وعمارته، إذ إنّ عمارة الأرض لا تأتي إلا بالحركة والتعاون وتكاتف الطاقات وتحقيق الإصلاح^(٥).

(١) أدب الدنيا والدين، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ت(٤٥٠ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، (ط٥)، ٢٠٠٨ م: ١١٠، وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٦: ٤٧ .
(٢) أدب الدنيا والدين : ١١٠ .

(٣) ينظر: زهرة التفاسير، للإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، (د. ط): ١ / ٢٠٢٦ .

(٤) التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، (د. ط) ١٩٩٧ م: ٦ / ٨٨ .

(٥) ينظر: تفسير الشعراوي (خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم)، (د. ط): ٥/٢٩١٣ .

إذن فالتعاون أمرٌ ضروريٌّ للاستخلاف في الحياة، وما دام الاستخلاف يقتضي من الإنسان عمارة هذه الحياة فإنّ ذلك لا يتحقق إلا بالتعاون، ولذلك قال الله تعالى: ﴿... النَّجَابَةُ الظَّلَامَةُ الْبُخْرِيُّ الْمَلِكُ الْبَكْبَكِيُّ الْخَيْلَةُ الْمَعْلُومَةُ نَوْحٌ لِلرِّقِّ الْمُرْتَمِكِ...﴾ المائدة/ ٢. (أي أنّ الله تعالى يريد منّا أن نُنشئ كوناً عامراً صالحاً لا كوناً خراباً فاسداً وذلك لن يتحقق إلا بالتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان)^(١).

وفي الوقت الذي يأمر الإسلام أتباعه بالتعاون والتناصر لتحقيق الإصلاح فإنّه يحذّرهم من التنافس والتنازع الذي يسبب الفرقة والشقاق، قال الله تعالى داعياً إلى الاعتصام بدينه ونبذ الفرقة ﴿...﴾^(٢) ج آل عمران/ ١٠٣. (أي وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به ، وعهده الذي عهدته إليكم في كتابه ، من الإلفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله)^(٢). وفي ذلك يقول ابن كثير (رحمه الله) : (أمرهم الله بالجماعة ونهاهم عن التفرقة)^(٣). (فإنّ الفرقة هلكة والجماعة نجاته)^(٤).

ولذلك حذّر رسول الله محمد (ﷺ) أمته من التنازع والتباغض فقال (ﷺ) : [...ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله أخواناً]^(٥). فالتنافس

(١) تفسير الشعراوي : ٢٩١٥/٥ .

(٢) جامع البيان : ٧ / ٧٠ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٢ / ٨٩ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ١٥٩ .

(٥) صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن المغيرة البخاري، ت(٢٥٦) هـ، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، (٦ط)، ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩م، (طبعة بمجلد واحد): ٩٦٩ ، كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حديث رقم (٥١٤٣) ، وصحيح مسلم : ١٠٩٦ ، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش، حديث رقم (٢٥٦٣) ، واللفظ لمسلم.

والتحاسد والتدابير هو سببٌ للمعاداة والمقاطعة، والفرقة والضعف، والابتعاد عن أمر الله بالتزام الجماعة والاعتصام والتمسك بدينه سبحانه وتعالى، ومعنى [كونوا عباد الله اخوانا] أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الاخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة، والتعاون في الخير ونحو ذلك مع صفاء القلوب والنصيحة في كل حال^(١).

وهكذا نجد أنّ الإسلام يأمر أتباعه بالتعاون على البر والتقوى وينهاهم عن التعاون على الاثم والعدوان، وذلك لأنّ التعاون على البر والتقوى والاعتصام بحبل الله وعدم الفرقة هي من أهم العوامل التي تدعو المسلم إلى إزالة الفساد والقضاء عليه من أجل تحقيق الإصلاح، ومن خلال ما تقدم يتبين وبكل وضوح أنّ عملية إزالة الفساد وحدها لا تأتي بثمارها على الفرد والمجتمع دون الشروع بالإصلاح، والأخذ بأسبابه، والعمل على تطبيقها على أرض الواقع، عسى الله سبحانه وتعالى أن يخرج الأمة من أزمتها، وأن يعيد إليها كرامتها وهيبتها، إنه خير مسؤول وأكرم مأمول.

(١) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١٦/ ١١٦.

الخاتمة وأهم النتائج

من خلال ما تقدّم أجد لزاماً عليّ أن أسجل أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث والدراسة.

أولاً: إنّ الإنسان المسلم مُطالبٌ باستيفاء شروط الخلافة في هذه الأرض، والسعي في منابها عبادةً لله تعالى، وإعماراً للأرض، والاستفادة مما فيها من ثروات وخيرات، والإنسان لا يصل إلى هذه المرتبة بترك الفساد وحده، وإنّما بترك الفساد مع المباشرة بالإصلاح العام لجميع نواحي الحياة ومجالاتها، مع الأخذ بوسائل الإصلاح وأسبابه.

ثانياً: إنّ الإصلاح ليس المطلوب أن يكون هدفاً سلوكياً فحسب، بل لابدّ من أن يكون ظاهرةً حضاريةً تؤدي إلى رقي الجنس البشري، فبه تقوم الحضارات، ويعمر

الكون، وتزدهر الحياة، ثم قبل ذلك كله هو هدفاً من أهداف الدين الإسلامي الحنيف، والذي من خلاله يسمو به المسلم ويرقى إلى إزالة الفساد والقضاء عليه، وكسب مرضاة الله تعالى.

ثالثاً: إنّ ما نلحظه اليوم في مجتمعاتنا من أسباب التخلف والانحطاط، ما ذلك كله إلا بسبب تجاهل مجتمعاتنا الإسلامية للأخذ بوسائل الإصلاح، سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أم على مستوى الجماعات، مع انتشار الصفات المناقضة لهذا المفهوم . مفهوم الإصلاح . كالفوضى في أداء العمل، والتسيّب، وفقدان النظام، وعدم المبالاة بقيمة الوقت، واختفاء الشعور بالمسؤولية تجاه معظم الأعمال التي يقوم بها المسلمون، فضلاً عن انتشار ظاهرة الغشّ والخديعة وضياع الأمانة، الأمر الذي أدى بدوره إلى تدهور أحوال المسلمين وتفرقهم .

خامساً: جاءت هذه الدراسة لتوضّح للمسلمين أهم الأسس والوسائل التي تساعد المسلم على تحقيق الإصلاح ولمختلف نواحي الحياة وجميع مجالاتها.

أهم التوصيات:

١_ تعميق أصول الاعتقاد في نفوس الشباب المسلم، وتبيان أن أصل السعادة البشرية في هذه الدنيا يكمن في العودة والرجوع إلى تعاليم الإسلام والتمسك بها، كي تطبّق وسائل تحقيق الإصلاح على أرض الواقع، بحيث تتحول حياة الناس بجميع جوانبها على طريق الاستقامة على منهج الله تعالى، من خلال القضاء على كل

أشكال الفساد داخل مؤسسات المجتمع (الغش، الرشوة، سرقة المال العام، المحسوبية والمنسوبية)، والعمل على تعزيز دور الهيئات الرقابية، واعطاء أصحاب الأيدي النظيفة موقعهم الطبيعي في المجتمع .

٢_ تفعيل الدور الريادي لمؤسسات الدولة كافة (الجامعات، المساجد، المدارس) في قيادة المجتمع والعمل على أخذ دورها الحقيقي في مناقشة مشكلات المجتمع والسعي لحلها من خلال :

أ_ التأكيد على أهمية العلم في حياة المسلمين، وبيان أهمية التعلم، والعمل على ضرورة الاهتمام به ، وذلك لأنّ العلم أساس الإصلاح، وهو مادة النجاح في هذه الدنيا، فلا إصلاح ولا تقدم بدون العلم والتعلم والعمل به وتطبيقه على أرض الواقع.

ب . تنشيط دور مؤسسات الدولة في العمل على غرس القيم الإسلامية الفاضلة من كون الشباب المسلم هم قادة المستقبل وعليهم تتوقف عملية الإصلاح ، والعمل على توعيتهم بمخاطر الفساد بكل صورته وأشكاله ، وخاصةً ونحن اليوم نعيش في حالة من الفساد العام الذي ينخر في مفاصل جميع دوائر الدولة والمجتمع، ولا سبيل للقضاء عليه إلا بالرجوع إلى تعاليم الاسلام، وقيمه الفاضلة، والعمل على غرسها في نفوس شبابنا، من أجل أن تكون جزءاً من سلوكهم، وصفةً من صفاتهم دون تصنع أو تظاهر .

ج . إعادة تنشيط دور المساجد الريادي في قيادة المجتمع، كونها تشغل موقعاً متميزاً في حياة الناس، ومنطلقاً ينطلق منها المسلمون نحو إزالة الفساد والقضاء عليه، والعمل على تحقيق الإصلاح المنشود وفق منهج الله تعالى .

د . العمل على تنمية الوعي الديني والأخلاقي بين الصغار والكبار , والتعريف بأهمية الوقت , وقيمه , وتنمية الحس الجماعي بالشعور بالمسؤولية من أجل تحقيق الإصلاح المنشود... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .. والله ولي التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع

. القرآن الكريم.

١. أثر التخطيط في بناء المجتمع المدني, محمد صالح جواد السامرائي, دار ابن حزم, بيروت, (ط١), ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٢ م.
٢. احياء علوم الدين, للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي, ت(٥٠٥) هـ , وبذيله كتاب المغني عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج ما في الأحياء من الأسفار, للعلامة زين الدين أبي الفضل عبدالرحيم بن حسين العراقي, ت(٨٠٦) هـ, دار المعرفة، بيروت . لبنان, (ط١), ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م.

٣. أدب الدنيا والدين, تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ت(٤٥٠ هـ), دار الكتب العلمية, بيروت . لبنان, (ط٥), ٢٠٠٨ م .
٤. الإسلام والتنمية الاجتماعية, للدكتور محسن عبد الحميد, دار المنار, السعودية, (د. ط), ١٩٨٩ م .
٥. التحرير والتنوير, للشيخ محمد الطاهر بن عاشور, دار سحنون للنشر والتوزيع, تونس, (د. ط) ١٩٩٧ م .
٦. تفسير الشعراوي(خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم), (د. ط).
٧. تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار, للإمام محمد رشيد رضا , دار الفكر, بيروت, (ط٢), (د. ت) .
٨. تفسير القرآن العظيم, لأبي الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي, ت(٧٧٤) هـ, تحقيق سامي محمد طعمة, دار طيبة, (ط٢), ١٤٢٠ هـ . ١٩٩٩ م .
٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, عبد الرحمن بن ناصر السعدي, ت(١٣٧٦) هـ, تحقيق: مجدي فتحي السيد وآخرون, المكتبة التوفيقية, مصر, القاهرة, (د. ط) .
١٠. جامع البيان في تأويل القرآن, تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري, ت(٣١٠) هـ, تحقيق: أحمد محمد شاكر, مؤسسة الرسالة, (ط١), ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠ م .

١١. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي، ت(٦٧١)هـ، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار الكتب العلمية، الرياض، السعودية، (د. ط)، ١٤٣٢ هـ . ٢٠٠٣ م.
١٢. خصائص الشورى ومقوماته، محمد سعيد رمضان البوطي، الأردن، (د. ط)، ١٩٨٩ م.
١٣. الدعاة والتخطيط، محمد عبدالله الخطيب، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، (د. ط)، ١٩٨٩ م.
١٤. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، تأليف: شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي، (د. ط).
١٥. زهرة التفاسير، للإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، (د. ط).
١٦. سنن ابن ماجه، للإمام محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق محمد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، (د. ط).
١٧. سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ط).
١٨. سنن الترمذي، للإمام محمد بن عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار احياء التراث العربي، بيروت، (د. ط).
١٩. السيرة النبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام ابن أيوب الحميري المعامري، ت(٧٤٣ هـ)، دار ابن الجوزي، القاهرة، (ط١)، (د. ت).

٢٠. الشورى في القرآن الكريم، صلاح عبد الفتاح الخالدي، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، الأردن، (د. ط)، ١٩٨٩ م.
٢١. صحيح البخاري، للإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل بن المغيرة البخاري، ت (٢٥٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (ط٦)، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، (طبعة بمجلد واحد).
٢٢. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت (٢٦١ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (ط١)، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، (طبعة بمجلد واحد).
٢٣. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، ت (٢٣٠ هـ)، تحقيق د. علي محمد عمر، القاهرة، (ط١)، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٢٤. العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت (١٧٥ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (ط٢)، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٢٥. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت (١٢٥٠ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (ط١)، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٢٦. في ظلال القرآن، سيد قطب، طبعة دار الشروق، القاهرة، (ط٣٤)، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م.
٢٧. لسان العرب، لأبن منظور، ت (٧١١ هـ)، دار الحديث، القاهرة، (د. ط)، ٢٠٠٣ م.

٢٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نورالدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ت(٨٠٧)هـ، بتحريه الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د. ط)، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٢٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن ابن تمام بن عطية الأندلسي، ت(٥٤٦) هـ، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، (ط١)، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٣٠. مسند الإمام أحمد، للإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، (د. ط).

٣١. معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت(٥١٦) هـ، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، (ط١)، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٣٢. المعجم المفهرس للقرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث، القاهرة، (د. ط)، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٣٣. معجم لغة الفقهاء، وضعه: د. محمد رواسي قلعة جي ود. حامد صادق قتيبي، طبعة دار البشائر، بيروت، (ط١)، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٣٤. معجم مقاييس اللغة، تأليف أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، ت(٣٩٥) هـ، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (ط٢)، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٣٥. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لأبي عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الشافعي، ت(٦٠٦)هـ، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، (ط١)، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م.

٣٦. المفردات في غريب القرآن، تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني، ت(٥٠٢) هـ، راجعه وقدم له: وائل أحمد عبد الرحمن، المكتبة التوفيقية، مصر. القاهرة، (د. ط).

٣٧. من فقه الدولة في الإسلام ، للدكتور يوسف القرضاوي، دار الشروق ، القاهرة ، (د.ط).

٣٨. المنهاج شح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف بن سري النووي، دار احياء التراث العربي، بيروت . لبنان، (ط٢)، ١٣٩٢هـ .

٣٩. نحو كلمةٍ سواء وحوار كريم، عبدالله نجيب سالم، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (ط١)، ١٩٨٥م.

٤٠. النكت والعيون، أو تفسير الماوردي، تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، ت(٤٥٠)هـ، مراجعة السيد عبد المقصود عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، (ط٢)، ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م.